

УДК 297

المقال الأصلي

Оригинальная статья

Original Paper

الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي

أحمد الفراك

جامعة عبد الملك السعدي

elfarrak@gmail.com

Received: July 2, 2019, Поступила в редакцию: 2 июля 2019 г.
تم الاستلام في ٢ تموز ٢٠١٩
Reviewed: July 16, 2019, Одобрена рецензентами: 16 июля 2019 г.
تم التقييم في ١٦ تموز ٢٠١٩
Accepted: July 21, 2019, Принята к публикации: 21 июля 2019 г.
تم القبول في ٢١ تموز ٢٠١٩

الملخص

يحتاج العالم اليوم إلى مشروع فكري يخرج من إديولوجيات الصراع والعنف والإقصاء، ويقترح نموذجاً حضارياً بديلاً، يستوعب حسنات الحضارات السابقة ويستدمج عطاءات المعرفة المعاصرة مع أسس المعرفة الدينية في بعدها الأخلاقي والروحي على وجه الخصوص في إطار تكريم الإنساني والسعي في إسعاده سعادة ممتدة. من هنا تأتي فكرة الأخوة الإنسانية المشتركة أو المشترك الإنساني.

فما هي أسس هذا المشترك الإنساني؟ وما هي قواعده الأساسية التي تنظمه وتجعله قابلاً ليكون أساس حضارة عالمية ومواطنة عابرة للحدود؟

سأحاول من خلال هذا البحث أن أجيب على هذه الأسئلة وأن أبين الأسس الدينية للأخوة الإنسانية المشتركة، والقواعد العامة الكلية التي من خلالها يمكن بناء تصور للعالم المستقبلي الذي نريده. وذلك باستقراء أمهات القيم التي تنتشدها الإنسانية في تاريخها الطويل وإلى يومنا هذا. وذلك في محورين اثنين، خصصت الأول للأسس الدينية الداعمة لفكرة الأخوة الإنسانية، والثاني للقواعد الناظمة للبناء القيمي والأخلاقي المؤسس لحضارة المشترك

الإنساني التي تسع جميع الناس بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والعرقية والجغرافية والثقافية وغيرها.
الكلمات المفتاحية: المشترك الإنساني، التعايش، السلم، التعاون، الدين

للاقتباس: الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ص ٥٥-٧٤.

ОБЩЕЧЕЛОВЕЧЕСКОЕ БРАТСТВО: ОБСУЖДЕНИЕ ПРАВИЛ МИРНОГО СОСУЩЕСТВОВАНИЯ

Ахмед Эль-Фаррак

Университет Абдулмалика Ас-Саади

elfarrak@gmail.com

Аннотация

Современный мир нуждается в так называемом «интеллектуальном» проекте, который учитывает опыт, полученный в результате распространения идеологий конфликта, насилия и отчуждения, а также предлагает альтернативную цивилизационную модель общественного развития. Данная модель сочетает в себе достоинства предыдущих цивилизаций и объединяет современное рациональное знание с основами религиозного знания, в частности, в рамках уважения к человечеству и стремления сделать его счастливым. Из этой концепции вытекает идея общечеловеческого братства.

Данная статья посвящена выработке свода правил для мирного сосуществования людей разных национальностей. В статье рассматриваются следующие вопросы: Что лежит в основе общечеловеческого братства? Какие правила регулируют его функционирование и позволяют ему быть «фундаментом» для построения глобальной цивилизации и транснационального гражданства? В статье показан комплексный комбинированный подход к построению мирного будущего, в основе которого лежат религиозные принципы и правила, регулирующие моральные и этические аспекты построения цивилизации

будущего, независимо от религиозной, этнической, географической, культурной принадлежности людей.

Ключевые слова: *общность человечества, сосуществование, мир, сотрудничество, религия*

Для цитирования: *Эль-Фаррик А. Общечеловеческое братство: обсуждение правил мирного сосуществования // Арабистика Евразии. 2019. № 7. С. 55-74. (на арабском языке)*

COMMON HUMAN BROTHERHOOD: DISCUSSING THE RULES OF PEACEFUL COEXISTENCE

Ahmed Elfarrek

Abdelmalek Assaadi University

elfarrak@gmail.com

Abstract

The modern world needs a so-called “intellectual” project that takes into account the experience gained from the spread of ideologies of conflict, violence and alienation, and offers an alternative civilizational model of social development. This model has the virtues of previous civilizations and combines modern rational knowledge with the foundations of religious knowledge in the framework of honoring humanity and striving to make it happy. From this concept follows the idea of common human brotherhood.

This article aims to set out guidelines for the peaceful coexistence of people of different nationalities. The research deals with the following issues: What is the basis of universal brotherhood? What rules govern its functioning and allow it to be the basis for building a global civilization and transnational citizenship? The article shows a complex approach to building a peaceful society, which is based on both religious principles and rules governing the moral and ethical aspects of building a global civilization, regardless of religious, ethnic, geographical, cultural affiliation of the people.

Key words: *the common humanity, coexistence, peace, cooperation, religion*

For citation: Elfarrek, A. (2019). *Common human brotherhood: discussing the rules of peaceful coexistence. Eurasian Arabic Studies, 7, 55-74. (In Arabic)*

مقدمة

رغم ما يظهر بين الشعوب والأمم من تباين في الطبائع والثقافات والاعتقادات، فلا شك أن بينهم جملة من المشتركات الكبرى التي توحدهم، على اختلاف مرجعياتهم الدينية والثقافية والجغرافية والعرقية واللغوية وغيرها، فالطبيعة البشرية موزعة بين جميع الأجناس بالتساوي، فالناس شركاء مع بعضهم في الخَلقة الأدمية والأرض والفضة والعقل والدين والحياة والبيئة... وكذلك المصلحة التي ينشدونها. جميعهم أوتوا هذه الآيات والأعطيات ابتداءً بوصفهم ينتمون إلى الإنسانية المشتركة قبل تمايز الثقافات بين الأمم والشعوب.

والتركيز على المشترك الإنساني يُعني التفكير الإنساني، ويوفر له السند الفلسفي النظري للمضي قدماً نحو التكامل والتعاقد بين بني الإنسان، عوض الارتداد إلى معارك الفتن التاريخية التي تُلهي الإنسان وتعيق تفكيره في واقعه ومستقبله، وتختفي وراء مقولاتٍ تستخف بالغير وتتهمه بالمؤامرة والخيانة. وخاصة أن العالم قد أضحى اليوم شبكة مركبة ومتداخلة من العلاقات الصلبة التي لا يمكن فصمها أو تجاهلها.

فما هي أسس هذا المشترك الإنساني؟ وما هي قواعده الأساسية التي تنظمه وتجعله قابلاً ليكون أساس حضارة عالمية ومواطنة عابرة للحدود؟

سأحاول من خلال هذا البحث أن أبين الأسس الدينية للأخوة الإنسانية المشتركة، والقواعد العامة الكلية التي من خلالها يمكن بناء تصور للعالم المستقبلي الذي نريده. وذلك باستقراء أمهات القيم التي تنتسدها الإنسانية في تاريخها الطويل وإلى يومنا هذا. وذلك في محورين اثنين، خصصت الأول للأسس الدينية الداعمة لفكرة الأخوة الإنسانية، والثاني للقواعد الناظمة للبناء القيمي والأخلاقي لحضارة المشترك الإنساني.

المنهجية ومادة البحث

المحور الأول: الأسس الدينية للمشارك الإنساني:

ويتأسس المشارك الإنساني في بُعدهِ الديني على المعطيات الآتية:

1- الهوية الدينية للإنسان: وذلك لأنه "لا وجود لإنسان بغير دين" يدين به، حتى قيل إن "الإنسان كائن حي متدين" (طه عبد الرحمن، 2000، ص 149)، وكون هوية الكائن البشري هي في الأصل "هوية دينية". الحضور الكبير والدائم للدين في العالم قديماً وحديثاً، وحيوية هذا الحضور وديناميته، وتأثيراته الواسعة في الأفراد والجماعات والأمم رغم مختلف التغيرات الطارئة في الحياة العلمية والتقنية وغيرها (دراز، 1970، ص 11). الوحدة المتعالية للأديان: الأديان بينها مشترك كلي، يُعبّر عنه بمبدأ "الوحدة المتعالية

للأديان"¹، إذ غالب أهل الأرض يدينون بدين مُنزل. وبين المسلمين والغرب مشترك التوحيد العقدي في الأصل الإبراهيمي. وذلك باتباع حنيفية النبي إبراهيم عليه السلام والابتعاد عن كل الانحرافات التي لحقت الدين الحق. إذ إن "محمداً عليه الصلاة والسلام إنما دعا الخلق إلى دين إبراهيم عليه السلام... ثم إن شرع إبراهيم مقبول عند الكل (الرازي، 1955، ص 129)".

2- وحدة الرسالة الوجودية: توجد بين الأديان وحدة رسالة وجودية خلق الله من أجلها الإنسان وأرسل له الرسل عليهم السلام وهي العبادة، سواء أعبدَ الله بحق أو بغير حق، أو عبدَ غير الله من ذواتٍ أو أوهام أو أشياء.

3- وحدة السؤال الديني: جميع الأسئلة المُلحة والمشكلات المطروحة المتعلقة بقضايا الإنسان المعاصر تتسم بالكونية وتتسحب على جميع الثقافات تأثيراً وتأثراً، من قبيل: الخلق والمخلوقة، والعبادة، والمصير، والجزاء...

4- وحدة الاهتمام بالدين: نظراً لأهمية الدين في الاجتماع البشري وتأثيره في قلب جميع مجالات الحياة، ينصبُّ الاهتمام عليه من مختلف التخصصات ومن جميع المناحي، لذلك نلاحظ تنظيم العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية²، وإصدار مجموعة من الوثائق والإعلانات والاتفاقات³، فضلا عن غزارة البحث والتأليف والدراسة في ما يعنى بموضوع "المشترك الديني".

وانطلاقاً من النداء الكوني الخالد الذي يؤسس لوحدة عالمية تنبذ الإكراه، بمبدأ "لا إكراه في الدين" (البقرة: 255)، ومن تقاسم البشرية الوجود على كويكب الأرض العامر بالحياة، يتحرر الإنسان وتنطلق طاقاته الذاتية، وتوَمَّن له فضاءات الإبداع والعتاء والإسهام في البناء العمراني الشامل، ذلك أن قدرات الإنسان العقلية والقلبية والعاطفية والجوارحية تحتاج إلى تحرير في مستوى مبدأ التوحيد الذي جاء به القرآن الكريم، والذي فتح بصيرة الإنسان على ربه وعلى نفسه وعلى عوالم الكون الفسيح؛ اللامتناهي في الصغر لدقته واللامتناهي في الكبر لجلاله، وأرشده إلى الاهتداء بالآيات البيّنات في الكتابين: القرآن المجيد المُيسر للذّكر

(1) ينظر: طه، أنيس مالك. (2011م). التعددية الدينية؛ رؤية إسلامية (ط.1). حلب: دار الملتقى وكوالامبور.
(2) نذكر مثلاً: المؤتمر العالمي الأول للأديان أو ما عُرف باسم (برلمان أديان العالم) في شيكاغو سنة 1893م، والمؤتمر الدولي في موضوع "المشترك الديني: نحو منظومة عالمية للأخلاق"، من تنظيم رابطة الجامعات الإسلامية بالقاهرة، بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في مدينة روما - بايطاليا، بين 22 و25 أبريل 2011م.
(3) مثل: وثيقة "كلمة سواء بيننا وبينكم" وأصلها رسالة مفتوحة بتاريخ 13 أكتوبر 2006 أرسلها مجموعة من العلماء والمفكرين المسلمين إلى بابا الفاتيكان (بندكت السادس عشر) بعد خطابه المسيء للإسلام في محاضرته في جامعة ريغنسبورغ بتاريخ 12 سبتمبر 2006، ثم تحولت الرسالة إلى وثيقة شارك فيها 138 شخصية إسلامية، تدعو إلى السلام والتعايش بين المسلمين والمسيحيين، وتدعو لإيجاد أرضية مشتركة بين الإسلام والمسيحية قائمة على وصيتين: حب الله، وحب الجوار.

الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٧٤-٥٥.

والكون الفسيح المسخر للإعمار، من أجل بناء حضارة الإنسان؛ حضارة العلم النافع والعمل الصالح والإيمان الصادق.

5- الوحدة العليا للدين

انطلاقاً من بديهية وحدة الخالق ومن وحدة الرسالة الإلهية للرسول جميعاً عليهم الصلاة والسلام ومن وحدة الفطرة البشرية، يشترك جميع الناس في الخضوع الجلي لنواميس الكون التي تخضع لقرار الله الكوني، ويشتركون في التكليف بمضمون هذه الرسالة، وبوجوب العمل بمقتضياتها الشرعية، حيث أثبت القرآن الكريم هذه الحقيقة في مثل قوله تعالى: "ما يُقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك" (فصلت: 42)، فكل ما قيل لهذا النبي الخاتم ﷺ من تبليغ للقضايا الكلية والواجبات الإلهية قيل للأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام جميعاً، إذ هي رسالة إلهية واحدة في الأصل، تُنبئ عن حكمة ربانية تقوم على الوحدة والانسجام والتكامل في المهام والوظائف بين الأنبياء، وهذا هو الدين الجامع العام الذي اشترك فيه جميع الأنبياء، والإسلام العام والإيمان العام⁴.

والفلسفة العامة للدين أو مقاصد الدين الكبرى كما اختصرها بعض العلماء هي حفظ الكليات الخمس، واعتبروا أنه ما جاءت الشرائع من أول الأنبياء إلى خاتمهم صلى الله عليه وعليهم جميعاً وسلم إلا لإقامتها، وتتلخص في قول الإمام الغزالي رحمه الله: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"⁵، فَتَحَقَّقْ حفظ الدين، والنفس أو الحياة، والعقل، والنسل، والمال، هو ما به يحيى الناس سعداء فيما بينهم حياة طيبة ممتدة من العاجل إلى الآجل. ولهذا لم يكن الدين عند من يفهمه على الحقيقة شيئاً زائداً على حياة الإنسان، بل هو نظام الحياة وقوام سيرها في كل ما يتصل منها بنفس الإنسان، وبمصلحة الإنسان.

هذه المقاصد الكبرى تسعى جميع الشرائع لتحقيقها وحفظها من جانب الوجود ومن جانب العدم، وتيسير ما يحفظها ودفع ما يفسدها أو يضر بضماتها، ولا يقع الاختلاف إلا في التفاصيل والجزئيات. لذلك يقول الإمام الغزالي: "تحريم تقويت هذه الأمور الخمسة، والزجر عنها، يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذا لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر، والقتل، والزنى، والسرقعة، وشرب المسكر" (الغزالي، 1970، ص 278)، وبتوجيه السعي نحو هذه المقاصد المرعية "في كل ملة، بحيث لم تختلف فيها الملل، كما اختلفت في الفروع، فهي أصول الدين، وقواعد

(4) انظر: ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم.(د.ت). الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. الرياض: مطابع المجد التجارية، جزء 4، ص 33.

(5) الغزالي، أبو حامد.(1970). المستصفى من علم الأصول. تحقيق مصطفى أبو العلا. القاهرة: مكتبة الجندي، جزء 1، ص 278.

الفراك، أحمد.(2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

الشريعة، وكرليات الملة" (الشاطبي، 2003، ص 16) تتحرر الطاقات وتتعارف الثقافات وتتكامل الحضارات وتتحقق الغايات الكبرى للحق من الخلق.

حفظاً لحياة الإنسان وحرية أنكر الله تعالى على الذين يعتدون على الناس ويظلمونهم، وشدّد النكير على الذين يتلبّدون بالصالحين المصلحين من الناس ويسخرون من خطابهم ويستهزئون بأخلاقهم، بل أنكر حتى على الذين يدعون التدين ويسرقون الألقاب وهم يسيئون إلى الإنسان وإلى الدين معاً؛ طوائف من الأحرار والرهبان والحكام الذين يأكلون أموال الناس بالباطل عبر تأويلاتٍ مصلحية فجة لا ينهض بها دليل ولا يقوم عليها برهان. ولا شك أن الأفعال الصادرة عن هؤلاء مخالفة لتعاليم الكتب السماوية التوراة والإنجيل والقرآن. ولا علاقة لها بروح تعاليم الأنبياء عليهم السلام جميعاً. وقد ذم الله تعالى تصرفات الظالمين والمنافقين والمعتدين والمطففين والخائنين والمستكبرين ممن هم في دائرة عقيدة الإسلام أيضاً، لأنهم خالفوا تعاليمه بأفعالهم، كما ذم غيرهم من اليهود والنصارى دون أن يكون لذلك علاقة باليهودية والنصرانية كشرعتين مُنزلتين في مسيرة نزول شرائع الإسلام. والجامع في كل ذلك مخالفة تعاليم الدين والخروج عن مقتضياته.

المحور الثاني: قواعد في بناء الأخوة الإنسانية

1- قاعدة العدل بين الناس

كل سلوك إفسادي - من ظلم واعتداء وانتهاك للحرمان وسفك للدماء وهدم للبيوت وسلب للأموال والأوطان، وترويع للأمنين - لا دين له وإن استخرج دليله من الدين، ينبذه كل الأسوياء والعقلاء، ودفعه واجب بكل السبل لأنه سلوك ضد القيم الدينية والإنسانية كلها. وهل جاءت الرسائل السماوية إلا لإزاحة الظلم من حياة الناس؟ وذلك بتحسين أخلاقهم وإصلاح أفكارهم وتقويم تصرفاتهم، وتقصيد سعيهم، وبيان علل خلقهم وغايات وجودهم ومآلهم. هذا ما تدعوا إليه كل الشرائع المكونة لرسالة الإسلام، وكل القيم الإنسانية النبيلة. وكل الفضائل توجد في طي العدل.

2- قاعدة الحرية الأصلية:

لا يمكن للإنسان أن يكون حراً - إذ الأصل في الأدميين الحرية - إلا إذا كان قادراً على اختيار أفعاله، إذ على حريته تترتب مسؤوليته على تلك الأفعال، "والأفعال الإنسانية الخاصة به هي ما يكون باختياره. فكل ما يفعله الإنسان باختيار فهو فعل إنساني، وكل فعل إنساني فهو فعل باختيار. وأعني بالاختيار: الإرادة الكائنة عن روية" (ابن باجة، 1968، ص 46)، لكن حريته كما يؤكد أبو الوليد ابن رشد رهينة بضرورة موادة الأسباب الداخلية، أي القدرات الذاتية للفرد، والأسباب الخارجية "التي سخرها الله من خارج"، ويعني نظام الكون المقدر من الله، وهي قدرات وأسباب يستحيل إلغاؤها أو تجاهلها، بمعنى أن حريته مقرونة بإرادته ومسؤوليته من جهة ومشروطة بمختلف الحتميات البدنية والكونية التي تحدد وجوده من جهة ثانية. يقول ابن رشد: "الأفعال المنسوبة إلينا إنما يتم فعلها بإرادتنا وموافقة الأفعال التي من خارج لها" (ابن رشد، 2001، ص 188)، وهذا يفيد أن حرية الإنسان ليست سائبة كما الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

كانت تتصورها بعض الفلاسفات كالوجودية مثلاً، ولا معدومة كلية كما تصورتها أخرى كموقف باروخاسبينوزا (1632-1677) مثلاً، وإنما هي اختيار ومواتاة ومسؤولية؛ اختيار الأفعال ومواتاة الأسباب وتحمل مسؤولية التبعات.

يكفل الإسلام الحرية الدينية للشخص ولا يجبره على عقيدة محددة، بل يدعه يختار ما يشاء دون إكراه،- لكنه يحمله مسؤولية ذلك الاختيار. فلكل إنسان الحرية في اختيار العقيدة التي يؤمن بها وفي أن يمارس شعائرها، أو أن ينتقل من عقيدة إلى أخرى بحسب اقتناعه وإيمانه، قال الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (البقرة: 255). قال محمد الطاهر بن عاشور: "جاء بنفي الجنس لقصد العموم نصاً، وهي دليل إبطال الإكراه بسائر أنواعه؛ لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال والتمكين من النظر" (ابن عاشور، 1984، ص26)، فلا يجوز حمل الناس كرها على الدين فبالأحرى على عقيدة بعينها لأن ذلك مخالف لحكمة الله في خلقه إذ جعل منهم المؤمن والكافر، البر والفاجر، التقي والشقي، وغاية الإسلام أن يبين هذا السبيل دون أن يلزم الناس به أو ينفي وجود باقي السبل.

قاعدة "نفي الإكراه في الدين"، تثبت الحرية الأصلية للإنسان في الاعتقاد وفي السلوك، قال محمد الطاهر بن عاشور: "الحرية وصف فطري نشأ عليه البشر، وبه تصرفوا في أول وجودهم على الأرض، حتى حدثت بينهم المزاحمة، فحدث التحجير" (ابن عاشور، 1977، ص162). وعلى هذا الأساس، لا بد لمن يحمل مشروع إعادة البناء على الأساس الأول لتحرير الإنسان -أي إنسان كيفما كان لونه وجنسه وعرقه- من عبودية الأهواء والأشياء والأسماء إلى عبادة الله الخالق البارئ الحكيم، ومن جور تزوير الأديان وتحريفها إلى عدل الإسلام دين الرحمة للعالمين، ومن ضيق الدنيا المختزلة في الملذات البدنية وحدها إلى سعة الدنيا والآخرة سعادة ممتدة بلا انقطاع، لا بد له من تجديد النظر في الوجود والقيم والمعرفة بمنهاج القرآن الكريم المؤسس على المقاصد القرآنية الكلية؛ التوحيد والعدل والإحسان والعمران...

3- قاعدة الأخوة الأدمية

بالرغم من وجود أساس مشترك أكبر بين الرسائل السماوية، فإن حكمة الله اقتضت أن يختلف الناس فيما بينهم ليحققوا التعايش والتعارف وإلا لكان التطابق والتوحد، ولو لم يكن الاختلاف بينهم لفقد الوجود سننه التدافعية والتنافسية والتكاملية والتداولية⁶، إذ الاختلاف واقع بمشيئة الله وحكمته، وعليه قام الوجود وبه يستمر، من حيث لا يتصور وقوع خلافه. ولا ينقضي الاختلاف ولا تذوب الثقافات في ثقافة واحدة، ولا تستطيع قيم الاستكبار أن تبتلع الحضارات المختلفة وتطمس آثارها، قال ابن كثير في تفسير الآية: "ولا يزال الخلف بين

(6) التداولية، بمعنى تداول القيادة وتبادل المنتجات الفكرية والسلعية، تدبراً في قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران: 140).

الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم" (ابن كثير، 1996، ص 362)، وقال الطاهر بن عاشور: "لا جرم أن الله خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأمور... الاختلاف دائم بينهم لأنه من مقتضى ما جبلت عليه العقول" (ابن عاشور، 1984، ص 188)، واللام في {ولذلك} هي "لام التعليل لأنه لما خلقهم على جبة قاضية باختلاف الآراء والنزعات وكان مريدا لمقتضى تلك الجبة وعالما به كما بيناه أنفا كان الاختلاف علة غائية لخلقهم، والعلة الغائية لا يلزمها القصر عليها بل يكفي أنها غاية الفعل" (ابن عاشور، 1984، ص 90).

ما وهب الله الناس العقل والحرية والإرادة إلا ليكونوا مختلفين، إذ الحكمة الإلهية والمشية الإلهية اقتضتا أن يختلف الناس وأن يعيشوا مختلفين (رفيع، 2011، ص 120).

لذلك لا يفكر العاقل في إلغاء الشرائع من الأرض أو محو اختلاف أهلها أو إجبار الناس على تنميط اعتقادهم وتفكيرهم ورغباتهم وسلوكهم. لكن المطلوب المرغوب هو التقليل من دواعي الخلاف بينهم والتكثير من دواعي الائتلاف. وعليه فرفض الاختلاف جهلاً بالمشية الإلهية والحكمة في الخلق والغاية من الوجود، بالإضافة إلى كونه نقص في العقل وفرض الوصاية على الناس، فالله وحده يهدي وهو وحده يحكم بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

وهكذا فرغم الاتفاق على وحدة الخالق {اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} فإن ذلك لا يفيد وحدة العمل والإحساس والسلوك والموقف {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ}، إذ تدخل عوامل الزمن والتنشئة الاجتماعية والتطبيع الثقافي والتكيف البيئي والوضع الاقتصادي وتعاقب الأجيال وتداخل المصالح واختلاف الأهواء في تعدد الفهم وتباين التأويل واختلاف التمثلات والأفكار المسبقة، "والنتيجة الطبيعية... للتنشئة الاجتماعية هي إنتاج تطابق كافٍ في طرق العمل والتفكير والإحساس لدى كل عضو من الجماعة، وذلك ليتكيف كل شخص ويندمج مع تلك الجماعة" (Rocher, 1968, p. 132)، وبالتالي تعدد أنماط السلوك بتعدد أنماط تلك التنشئة.

ولا حجة بيننا وبينكم، بمعنى لا خصومة بيننا ولا جدال في أن يُحترم الغير ويُعامل بالحسنى والرفق والرحمة. لكن ثبوت الاختلاف لا يفيد تأييده وتوسيع دائرته، مثلما لا يفيد السعي لإنهائه وقطع دابره، فهو اختلاف داخل مشتركات كبرى، قائم بأسبابه الذاتية والموضوعية وتاريخه الحقيقي والمتوهم، وإنما هو عامل إنهاء للقيام بواجب تنظيم هذا الاختلاف في إطار البناء على أسس المشترك بين الناس قصد حماية الحياة الجماعية للبشرية من أن تجتالها تصرفات الذين اجتالتهم الأهواء وأعمتهم الأطماع، وقد ورد في الحديث القدسي:

"خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهِمْ فَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يَشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا."⁷

إذا رفع اللبس عن ضرورة الاختلاف والتنوع بين الثقافات والحضارات والشعوب، ما ثبتت ضرورة الوحدة الأدمية بين الأفراد والشعوب والقبائل (رفيع، 2011، ص 116)، وهي وحدة لا تلغي التدافع والاختلاف والمنافسة والمغالبة والحوار، فإن التحدي لا يقع في نبذ الاختلاف ومحو أثره أو مجرد الاعتراف المجرد به، وإنما يقع في كيفية تدبيره تدبيراً تشاركياً يُسهم فيه الجميع كل بمؤهلاته وقدراته وإنجازاته، دون أن يطغى طرف على طرف فيستكبر عليه ويستضعفه.

4- قاعدة الاعتراف بالغير

الغير هو الذات الأخرى، هو الإنسان نفسه، هو الإنسانية التي يشترك أفرادها في الخلق والأرض والمصلحة والمصير، لا وجود لي من غير وجوده، إنني لا أوجد إلا بمعيته⁸، أنا عاجز عن كفايتي الذاتية، أي غير قادر على تلبية حاجاتي بنفسي، يقول الفارابي بهذا الصدد: "وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج، في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته، إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده، بل يحتاج إلى قومٍ يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه. وكل واحد من كل واحد بهذه الحال...ولهذا كثرت أشخاص الإنسان، فحصلوا في المعمورة من الأرض، فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية" (الفارابي، 1973، ص 117)، أي أن العلاقة مع الغير هي علاقة اشتراك وتعارف وجودي عمراني لا محيد عنه، إلا من جهة الغفلة عن السنن الكونية التي تنتظم الوجود العمراني عموماً. ولعل هذا ما يؤكد ابن خلدون بقوله: "الاجتماع ضروري للنوع الإنساني. وإلا لم يكمل وجودهم وما أراد الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم. وهذا هو معنى العمران." (ابن خلدون، 2005) وشراكة الغير تقتضي التخلص من نظرتي الازدراء للغير أو الانبهار به على حد سواء، والانتقال إلى الكينونة الجماعية التي يمكن استيعاب دلالاتها من خلال حديث السفينة المشهور؛ حيث قال رسول الله ﷺ: "مثلاً لقائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا. فقالوا: لو أنا خرقتنا في نصيبنا خرقتنا ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"⁹، وهنا تقع مسؤولية الحفاظ المشترك للحياة والكون والسعي بالإصلاح. والذي بدونه يقع الفساد ويحدث الهلاك.

(7) سنن البيهقي الكبرى، باب بيان معنى قوله: خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، رقم الحديث: (523).

(8) أنظر: بول، ريكور. (2005م). الذات عينها كآخر (ط1). تر. تج. جورج زيناتي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

(9) صحيح البخاري. كتاب الشركة، رقم: 2361.

الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

ومقتضى الاعتراف أن يقر الجميع بحق الغير في الاختلاف بوصفه جزءاً لا يتجزأ من الكل الإنساني وجودياً ومعرفياً وأخلاقياً، بل وأن يحب له ما يحبه لنفسه وأن يكره له ما يكره لنفسه، ففي الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه"¹⁰، وفي المسيحية: "كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، فافعلوه أنتم أيضاً."¹¹

وأول ما ينبغي استحضاره في النظر لموضوع تنظيم الاختلاف واستيعابه بغية استثماره في بناء مشترك إنساني هو قيمة الاعتراف بالغير، فالغير موجود ووجوده ضروري لوجود الذات ولا يتصور وجود لهذه الأخيرة إلا به ومعه، إذ "لا يتعرف الفرد إلى الخير وقواعده وطرقه وعلاماته إلا من خلال العمل الاجتماعي"¹²، الذي يجتمع فيه مع غيره، وحتى إن ادعت بعض الفلسفات اكتفاء الذات بذاتها وعدم حاجتها لوجود الغير (فلسفة ديكرت مثلاً)، فإنه لا يتصور حتى ذهنياً خلاص الذات من التفكير في الآخرين وبالآخرين ومع الآخرين. ثم إن معرفة الآخرين ممكنة عن طريق التواصل والتعارف والتبادل والتعايش معهم، عملاً بالوازع الأخلاقي الفطري والديني الذي يبعث في الإنسان روح التعاون والتآخي والتضامن، على خلاف الفلسفات التي تنظر للآخرين بريية وشك واتهام الفلسفة الوجودية مثلاً، أو نظرة إقصاء وتناف وكراهية وانتقام واقتتال كما روجت فلسفة فريديريك هيغل... يقول طه عبد الرحمن في طبيعة الأخلاق الإسلامية: "ينبغي للنظرية الأخلاقية الإسلامية أن تأخذ بمبدأ مقتضاه أن الأخلاق الإسلامية أخلاق كونية لا محلية، وعمقية لا سطحية، وحركية لا جمودية؛ وكل أخلاق للإنسان تكون هذه هي سماته لا يمكن إلا أن تكون هي الأخلاق الحسنى" (طه، 2000، ص 170).

ولما ثبت أنه لا مندوحة من الحياة مع الغير وثبت أن الحياة مع الغير لا تستقيم إلا بالاعتراف المتبادل، فإنه لا بد أن يحصل التفاضل بين الأمم وبين الشعوب كما هو واقع بين الأفراد أيضاً، سواء في الكفاءات أو في الإنجازات، أوفي الطبائع والعادات، لذلك وجب على كل طرف أن يعترف بخير الغير وما خصه الله به من مكرمات.

الاختلاف المحمود والتنوع الراشد قائدان إلى التنافس والتدافع والتكامل والتعارف، وبالتالي توسيع مساحة المشترك المستوعب والمنفتح، وما يقتضيه ذلك من درء أسباب ومظاهر التنافر والتشاحن والإقصاء والإلغاء، لأن كثيراً من النزاعات الاجتماعية وأشكال عدم التفاهم، تأتي من سوء تبادل النظرة بيننا وبين غيرنا، فكل النزاعات تحركها قناعات أخلاقية تصدر عن مرجعيات تأسيسية توفر لها المعنى والمعقولية، حتى وإن بدت وكأنها مجرد وسائل وأدوات. ولو لم يكن الاختلاف رحمة لجعلنا الله أمة واحدةً بلغةٍ واحدةٍ ولونٍ

(10) صحيح البخاري. في كتاب الإيمان: باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، رقم: (13).

(11) إنجيل متى: 12/7، وإنجيل لوقا: 31/6.

(12) هانس، كينغ. (1998). مشروع أخلاقي عالمي. (ط1) دور البيانات في السلام العالمي، ترجمة: جوزيف معلوف وأورسولا عساف، بيروت: دار صادر، ص 112.

الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

واحدٍ وسيرورةٍ واحدة، وهذا غير واقع ولا يتصور وقوعه. فمن سنن الله في الكون أن يستمر الاختلاف، ومن مطالب الدين أن يُنظم هذا الاختلاف ولا يُطمس. وهذا لا يلغي كون ذريات آدم عليه السلام مختلفة منها الصالح المصلح ومنها الصالح القاعد ومنها من يقبل الانصلاح، ومنها الظالم لنفسه أو لغيره وغير ذلك، وفي هذا فضح للدعوى الملتصقة بالأنساب والألقاب والأساطير والأمانى.

5-قاعدة الدخول في السلم

معلوم أن العنف تغييبٌ لثقافة الحوار والتجاور والتعارف والسلام، لذلك تحضر قاعدة السلم في بناء المشترك الإنساني، ومقتضاها دخول الناس جميعا في عقد السلام الجماعي، إذ بالدخول فيه تُفك الرقاب وتُحقن الدماء، ويتعايش الناس في رحاب إنسانية متراحة متأخية متواصية بالحق والصبر والرحمة، متعاونة على البر والخير والتقوى، مُرسية قواعد الأمن والأمان والطمأنينة، دافعة لكل صنوف الشر والعدوان والفساد. ويمكن سوغ هذه القاعدة كما يلي:

"الأصل في العلاقات بين الناس السلم"

السلم تحرير للأفراد والجماعات من الخوف على الأنفس والأقوات والملكيات، وتعايش جميع أفراد النوع الإنساني في بيئة عمرانية واجتماعية وسياسية مع الانسجام التام بالأمن والعدالة والاحترام المتبادل، بعيدا عن كل أشكال العنف والصدام والحرب. غير أن ذلك لا يفيد إقامة حياة ملؤها السلم المثالي الذي لا حرب معه وكأنها جنة الآخرة. إذ من الممكن أن يحدث القتال بين طرفين أو أكثر، بين الأفراد أو بين الجماعات، والدولة جماعة. وهذا لا يتعارض مع قاعدة السلم، وإنما هو استثناء له قاعدته التي يمكن أن نضعها كما يلي:

"القتال ضرورة للمضطر غير باغ ولا عاد"

مع العلم أن مصطلح القتال لا يرادف مصطلح الحرب، لأن الحرب تعني المواجهة المادية أو المعنوية، أما مصطلح القتال في القرآن فله دالتان: قتال مادي يُفضي إلى موت الجسد وإنهاء حياة الكائن البشري، وهو في الغالب قتال سلبي إلا أن يكون دفاعا عن النفس لرد الاعتداء، وقاتل معنوي روعي يفضي إلى تطهير النفس من الفواحش والآثام الباطنة، وهو في الغالب قتال إيجابي إلا أن يكون تعذيبا للنفس وتحملا لما لا يطاق.

القتال المادي هو الضرب الذي قد يفضي إلى الموت، وهو محكوم في القرآن والسنة بجملته من الضوابط الصارمة التي تقننه، ومنها ألا يقع القتال إلا دفاعا لعدوان، وألا يُقتل الأسير والمستسلم والطفل والعجوز والمرأة. وحتى في الحالة التي يشرع فيها القرآن استعمال القوة في ظل شروط معينة وصارمة، فإن القيم القرآنية تدعو إلى الصلح والعفو والصبر بدلا من الثأر والانتقام والعنف، أما القتل انتصارا للرأي، أو انتقاما من الخصم، أو رفضا للاختلاف الديني أو العرقي أو الجنسي، فهو خسران ميبين.

وأما القتال المعنوي فهو إلزام النفس بطاعة الله وإن كرهتها وحملها على فعل الخير واجتناب الشر، وإجبارها على الحكم بالعدل ورفض الظلم، أي قتل الصفات الذميمة في النفس، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: 53)، أي "حمل الأمر بقتل النفس هنا على معنى القتل المجازي وهو التذليل والقهر." (ابن عاشور، 1984، ص 503).

الدخول في السلم حصنٌ وأمانٌ من الحرب التدميرية كما يسميها كانط، والصراع العبيثي الذي ألحق أضراراً جسيمة بعالمنا، ولا يزال يهدد مستقبلنا الذي تتلبد سماءه غيوم العنف الأعمى، زادته التقانة الحديثة دقة وقدرة على الفتك والتدمير في أقل مدة من الزمن. والسلم مجال تعايش كل أفراد النوع الإنساني، أي "الكافة"، في بيئة اجتماعية وسياسية منسجمة وأمنة، بعيداً عن كل أشكال العنف والصراع.

لقد كانت دعوة القرآن إلى السلم دعوة عالمية عامة، تشمل جميع أفراد وجماعات البشرية على اختلاف مللهم ونحلهم، لأنه "لا بلوغ إلى السلام الديني إلا من خلال دمج الآخرين" (هانس، 1998، ص 174). وهي نفس الدعوة التي جاءت بها باقي الرسائل السماوية.

السلم مطلب تشترك فيه جميع الأديان حتى غير السماوية منها، فالهندوس مثلاً يختمون عبادتهم بكلمة "شانتيياتها" وتعني "طريق السلام". و"الكونفوشسية ترى أنه من العبث أن تقيم النظام والقانون عن طريق العنف... وأن هذا الاحترام هو الذي يولد السلام بين الناس، ويجعلهم يعيشون في محبة وتسامح، أما الفلسفة الطاوية التي أسسها لاو تسو فهي لا تعارض الحروب واستخدام العنف فحسب؛ وإنما تهدف بالدرجة الأولى إلى إبراز بساطة الإنسان وفطرته البريئة... كما أن كلمة "أهيمسا" التي تعني المقاومة السلبية" كما استعملها المهاتما غاندي لتحقيق الحرية واسترداد الحقوق للشعب الهندي" (أنجيليكي، 2011، ص 45)، أما في المسيحية فيقول المسيح عيسى عليه السلام: "أقول لكم: إنه يجب عليكم ألا تقاوموا الشر... ولقد سمعتم ما قيل لكم: أن عليكم أن تحبوا جيرانكم وتكرهوا أعداءكم، ولكني أقول لكم: أحبوا أعداءكم، واستغفروا لمن يسبكم، وافعلوا الخير لمن يكرهونكم، وادعوا لأولئك الذين يسيئون لكم ويضطهدونكم" (متى، 5: 38، 44)، وترنيمة عيد الميلاد تقول: "ليعم السلام في الأرض، ويعم الخير للإنسان" (لوقا، 2: 14)، يقول هانس كينغ: "هناك خمس وصايا إنسانية تقر بها الديانات العالمية الكبرى، حتى في المجالين الاقتصادي والسياسي: 1- لا تقتل، 2- لا تكذب، 3- لا تسرق، 4- لا تستسلم إلى الفسق، 5- أكرم الأهل وأحبب الأولاد" (هانس، 1998، ص 108).

إلا أن التحريف الذي لحق الأديان هو الذي جعل بعض الناس ينسبون العنف والقتل والتدمير والإرهاب والقسوة للدين ذاته وهو منه براء، مثلما لحق بالأسفار الخمسة وسفر يشوع من ذكر للإبادة الإنسانية التي لا ترقب في أحدٍ إلا ولا ذمة. والعجيب أن مرتكبي هذه الأفعال كما تصورهم أسفار العهد القديم يعتقدون أنهم بهذا الفعل يتقربون من الله وينفذون إرادته وأوامره الإلهية (أصفري، 2001، ص 210)! وتلك هي أصول التدين اليهودي المعاصر في عمومها، والقائم على عقيدة شعب الله المختار العدائية والعنصرية، ونتائجها العملية في أرض فلسطين تغني عن التوضيح.

من الوثائق الهامة التي خلفتها كتب السير والتاريخ في ترسيخ هذه القاعدة، والتي تُبين أن المعاهدات النبوية أسست "أول ميثاق وطني يوم لم يكن له مثالٌ يُعرف لأمةٍ في عصره، وأقامت أول صيغة للتعايش السلمي بين أهل الأديان في مجتمعٍ يقوم على الفضيلة بكل معانيها، كالأمانة والصدق والوفاء بالعهد، وعلى المساواة في الحقوق والواجبات، مع الضمان لحرية الاختيار في التفكير والاعتقاد" (الجديع، 2008، ص 210)، نذكر: "وثيقة المدينة" أو ما يمكن تسميتها بـ"وثيقة المواطنة"، ويسميتها محمد عابد الجابري بـ"عقد اجتماعي" (الجابري، 2009، ص 8) على عهد الرسول ﷺ، والتي قننت "التعددية في إطار الوحدة: تعددية أهل الشرائع الدينية المختلفة، في إطار الإيمان الديني" (عمارة، 1992، ص 17)، ونصّت على المساواة في الانتساب إلى الأمة الواحدة الجامعة، ويحتفظ كل فريق بدينه وهويته وتقاليده وعلاقاته الداخلية، أي أن اليهود أمةٌ مع المؤمنين، يقول طه عبد الرحمن: "الحقيقة هو أن هذه الصحيفة الدستورية أملت الرابطة الدينية أساساً للمواطنة محلّ الرابطة القبلية القائمة على القرابة والنسب" (طه، 2000، ص 352).

تقول الوثيقة: "اليهود دينهم وللمسلمين دينهم... ومن تبعنا من يهود فإن لهم النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم... وأن بطانة يهود ومواليهم كأنفسهم.. وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وعلى اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة... وأن بينهم النصح والنصيحة والبر المحض من أهل هذه الصحيفة دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه"¹³، وهي وثيقة حددت العلاقة بين المسلم وإحدى مكونات المجتمع المسلم المخالفة في الدين، وهم اليهود. وخصصت الوثيقة أربع عشرة مادةً من اثنتين وخمسين مادةً لقضايا اليهود، أي بنسبة 27 في المائة. يقول محمد عمارة: "هذه الوثيقة الدستورية أول عقد اجتماعي وسياسي وديني-حقيقي وليس مفترضا ومتوهما- لا يكتفي بالاعتراف بالآخر على وجه التعميم والإطلاق" (عمارة، 2007، ص 55)، كما "تقرر الصحيفة تحريم القتال في يثرب وتنص على الدفاع المشترك

(13) حميد الله، محمد. (1956م). هذه الوثائق في: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ط1) بيروت: دار الإرشاد. ص 15.

الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

عنها" (الجابري، 2009، ص 11)، وتفرض على جميع الأطراف بناء العلاقات في المدينة على الاحترام والتفاهم والتعاون وحسن المعاملة وجسن الجوار. ونفس القاعدة التي تؤطر تماسك المجتمع ووحدته نجدها في معاهدة الرسول عليه السلام مع نصارى نجران، حيث جاء في المعاهدة أن لهم ولمن ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين: "ولنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبتها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله، وعلى أموالهم، وأنفسهم وملتهم، وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير. لا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانته... ولا يظأ أرضهم جيش... وأن أحمي جانبهم، وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم... وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا... بما أحفظ به نفسي وخاصيتي وأهل الإسلام من ملتي. (صحيح مسلم، 1996، ص 265)."

وعملا بالقاعدة نفسها صاغ أبو بكر رضي الله عنه دستورا لأخلاقيات السلم والحرب في الإسلام، عندما أوصى أميره على جيش الشام يزيد بن أبي سفيان قائلاً: "إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً هرماً، ولا تقطعن شجرة مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاةً ولا بعيراً إلا لمأكلية، ولا تحرقن نخلاً، ولا تفرقنه ولا تغل، ولا تجبن¹⁴، بالإضافة إلى معاهدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أهل بيت المقدس؛ وفيها تأميتهم على أنفسهم وأولادهم وأموالهم وعقائدهم وكنائسهم وصلبانهم... مؤكداً تأكيداً عملياً أن السلام والتعايش السلمي هو البشري التي يحملها القرآن للإنسانية المعذبة، ضد الظلم والقتل والهرج والفتن¹⁵.

6- قاعدة نسبية المعرفة العلمية

لا شك أن المعرفة التي يكتسبها الباحثون في مختلف المجالات العلمية والتخصصات المعرفية قابلة للمراجعة والتطوير والتجاوز باستمرار، ولا توجد معرفة علمية بشرية نهائية ومطلقة ولا تقبل إعادة النظر بالفحص والتجريب والتوسيع والنقض. وجميع الناس يتعلمون من النظر والبحث والتنقيب في عظمة الكون وتسخيرها للإنسان وأمر الشارع بالتفكير في آياته والاعتبار بسننه، اعتباراً وتبصر وسير في الأرض ونظر في العواقب، ذلك هو التعلم مما يقع من مآلات الأفكار والأفعال والأحوال. وبذلك يكتسب الباحث المتبصر القدرة على النظر الكلي والتعليل والتحقيق، والنقد والمقارنة، وإعادة البناء المعرفي وفق منهج معرفي

(14) أنظر: حميد الله، محمد. (1956م). هذه الوثائق في: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، (ط1) بيروت: دار الإرشاد.

(15) أنظر: القرضاوي، يوسف. (1992م). غير المسلمين في المجتمع الإسلامي (ط3). القاهرة: مكتبة وهبة والعلواني، طه جابر. (2003م). الفصل الثاني في الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت: دار الهادي.

الفراك، أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

شمولي، وامتلاك القدرة لدى العقل على الاجتهاد والإبداع في مختلف التخصصات المعرفية انطلاقاً من المنهجية المعرفية الجامعة بين علوم النص وعلوم الكون وعلوم الإنسان. بيد أن هناك سؤالاً يطرح بقوة مفاده: إذا كان المنهج علمياً، وكانت المعرفة علمية، فهل يفيد ذلك أن الحقيقة العلمية صحيحة مطلقاً أم أنها عبارة عن "سيرورة تركيبية"؟

الخلاصة

لا تنفك المعرفة عن الذات العارفة لكونها ذاتاً فاعلة؛ تتدبر وتتفكر وتعتبر وتقرن وتستننتج، لكنها في نفس الوقت هي ذات منفعة بفعالها وبموضوعها؛ تغفل أو تتغافل، تجهل، تستعجل، تُعمِّم... مما يُنبه العلماء والباحثين عموماً إلى ضرورة مراجعة "الحقائق العلمية" والنظر إليها في صورة حقائق نسبية ومؤقتة تقبل تعميق التفكير فيها ومراجعتها ونقدها وتجاوزها إن ثبت خطأها وبناء غيرها بشكل يستوعب ما سبقه ويتجاوزه. فليست "النظريات العلمية" نهائية الصحة بمجرد أنها تُنسب إلى العلم والمنهج العلمي ووضعتها علماء وخبراء، لأن النظريات العلمية مثلها مثل جبال الجليد في البحار القطبية، يظهر سطحها فقط وأغلبها منغم لا يظهر للناس، لكنه أكثر أهمية من الذي يظهر على السطح وضروري لوجوده.

نتائج البحث

باجتماع هذه الإمكانيات واحترام هذه القواعد في إطار نظرٍ كليٍ ناظمٍ للخصوصيات وعملٍ بها ستتجدد أسس العلاقات بين الثقافات، وستنتهى تبعاً لذلك الأوهام المعرفية المتركمة عبر الزمن ورسخها التقليد والتعصب والتشدد والإقصاء، وستتوقف الكثير من النزاعات العنيفة، وتتجنب الإنسانية في المستقبل الصراعات المدمرة التي أثلتها الفلسفات المادية الصراعية. وفي مقابل ذلك يُبنى العالم من جديد على قوام المشترك الإنساني بدلاً عن الصدام الحضاري.

جميع الناس شركاء في هذه الأرض التي وحدها جعلها الله محلاً للاستخلاف، نتعاون لنبنى عمراناً مشتركاً عامراً بالقيم الإنسانية الجامعة التي لا يُظلم فيها أحد ولا يبخس حقه. ونتجاوز مظالم الماضي وجاهليته لنتعيش إخوة في الإنسانية. وبواسطة الحوار وحده يمكننا تشييد مشروع كوني مستقبلي يسع الجميع ولا يضيق ذرعاً بأحد.

المصادر والمراجع

1. طه، عبد الرحمن. (2000م). سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية (ط1). بيروت: المركز الثقافي العربي.
2. دراز، محمد عبد الله. (1970م). الدين. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (ط2). الكويت: دار القلم.

3. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. (1955م). التفسير الكبير: مفاتيح الغيب (ط2). بيروت: دار الكتب العلمية.
4. الغزالي، أبو حامد. (1984). المستصفى من علم الأصول. تح. مصطفى أبو العلا، القاهرة: مكتبة الجندي.
5. الشاطبي، أبو إسحاق. (2003م). الموافقات في أصول الشريعة. تح. عبد الله دراز. بيروت: دار الكتب العلمية.
6. ابن باجة، أبو بكر محمد بن يحيى. (1968م). تدبير المتوحد، (ط1). تحقيق وتقديم ماجد فخري، بيروت: دار النهار.
7. ابن رشد، أبو الوليد محمد ابن احمد. (2001م). الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد المل (ط2). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
8. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للطباعة والنشر.
9. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1977م). أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (ط1). تونس: دار الكتاب.
10. ابن كثير، إسماعيل. (1996). تفسير القرآن العظيم. (ط5). بيروت: دار النهضة العربية للطباعة، ط5.
11. رفيع، محماد. (2011). المنهج القرآني في بناء المشترك الإنساني. مجلة إسلامية المعرفة، الولايات المتحدة الأمريكية، ع. 66.
12. الفارابي، أبو نصر. (1973). آراء أهل المدينة الفاضلة، تح. ألبير نصري نادر (ط4). بيروت: دار المشرق.
13. ابن خلدون، عبد الرحمن. (2005). المقدمة. الدار البيضاء: بيت الفنون والعلوم والآداب.
14. هانس، كينغ. (1998). مشروع أخلاقي عالمي. بيروت: دار صادر.
15. أنجيليكي، غريغوريزياكا. (2011م). القيم الأخلاقية ودورها في نشر السلام. مجلة التفاهم، ع. 34.
16. أصفري، أمين حسين. (2001). الشعب اليهودي وبنو إسرائيل. مجلة المستقبلية.
17. الجديع، عبد الله بن يوسف. (2008م). تقسيم المعمورة في الفقه الإسلامي وأثره في الواقع (ط1). بيروت: مؤسسة الريان.
18. الشعبي، أحمد قائد. (2006). وثيقة المدينة المضمون والدلالة. قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

19. الجابري، محمد عابد. (2009). فهم القرآن الحكيم (القسم 3). (ط1). الدار البيضاء. دار النشر المغربية.
20. عمارة، محمد. (1992م). إسلامية المعرفة البديل الفكري للمعرفة المادية. مجلة المسلم المعاصر، ع.63.
21. طه، عبد الرحمن. (2012). رُوح الدِّين. (ط1). الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
22. عمارة، محمد. (2007). فلسفة الإسلام. مجلة حراء، عدد:9. من ص 54- إلى ص 57.

23. Guy, R. (1968). Introduction à la sociologie générale, tome 1, L'action Sociale. Payot.

BIBLIOGRAPHIC REFERENCES

1. Taha, Abdul Rahman. (2000). Sual al'akhlaq musahamat fi alnaqd al'akhlaqii lilhadathat algharbia [The issue of Ethics is a contribution to the moral criticism of Western modernity] (1st ed.). Beirut: Almarkaz althaqafii al'arabi. (In Arabic)
2. Duraz, Mohammed Abdullah. (1970). Al-diyn. Bihawth mumahidat lidirasat tarikh al'adyan [Religion. Preliminary research to studying the history of religions] (2nd ed.). Kuwait: Dar al-qalam. (In Arabic)
3. Al-Razi, Fakhruddin Mohammed bin Omar. (1955). Altafsir alkabir: mafatih alghayb [The great explanation: the keys of the unseen] (2nd ed.). Beirut: Dar al-kutub al'ilmia. (In Arabic)
4. Alghazali, Abouhamed. (1984). Elmostasfa min Ilm elossoul. [Dispensary in Asset Science]. Ed. Mustafa Abou elol. Cairo: Maktabah el-jondi. (In Arabic)
5. Al-Shatibi, Abu Ishaq. (2003). Muwafaqat fi Usul al-Shari'a. Ed. Duraz Mohammed Abdullah. Beirut: Dar al-kutub al'ilmia. (In Arabic)
6. Ibn Bajja, Abu Bakr Muhammad Ibn Yahya ibn as-Sa'igh at-Tujibi. (1968). Tadbir el-mutaouahid [Autistic measure]. Ed. Majid Fakhri, Beirut: Dar al-Nahar. (In Arabic)
7. Ibn Rushd, Abu l-Walid Muhammad ibn Ahmad. (2001). Alkashf an manahij eladillah fi akaid elmillah [Disclosure of methods of the frak, أحمد. (2019). الأخوة الإنسانية المشتركة: بحث في قواعد التعايش السلمي. الدراسات العربية الأوراسية، ٧، ص ٥٥-٧٤.

- evidence in the doctrines of the sect] (2nd ed.). Beirut: Markaz dirrassat eluahda el'arabia. (In Arabic)
8. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1984). Al-tahrir wa al-tanwir [Editing and Enlightenment]. Tunisia: Al-dar al-Tounssia liltiba'a wa al-nashr. (In Arabic)
 9. Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir. (1977). Osoul al-nizam al-ijtima'i fi al-Islam. [The Foundations of the Social system in Islam] (1sted). Tunisia: Dar al-Kitab. (In Arabic)
 10. Ibn Katir, Abu l-Fida Isma'il ibn 'Umar. (1966). Tafseer al-Qur'an al-'Azeem [The Great Quran Interpretation] (5th ed). Beirut: Dar al-nahda al-'arabiya. (In Arabic)
 11. Rafi', Mohamad. (2011). Al-manhaj al-Qurani fi al-mushtarak al-insani [The Qur'anic Approach to the Common Humanity]. Majallah Islamiah al-ma'rifah, 66. (In Arabic)
 12. Al-farabi, Abu Nasr. (1973). Araa ahl al-madina al-fadila [Views of the people on utopia] (4th ed). Beirut: Dar al-mashrik. (In Arabic)
 13. Ibn Khaldoun, Abderrahmane. (2005). Al-muqaddima. [Introduction]. Casablanca: Bayt al-funun wa al'ulum wa al-adab. (In Arabic)
 14. Hans, King. (1998). Mashru'a Akhlaqi al'ami [Global Ethical Project]. Beirut: Dar sadir. (In Arabic)
 15. Anjiliki, Grigiriziaka. (2011). Al-Qiam al-akhlaqia wa dawruha fi nashri al-salam. [Moral values and their role in spreading peace]. Majallah tafahom, 34. (In Arabic)
 16. Asafri, Amin Hossain. (2011). Al-shaab al-yahoudi wa banou Israil [Jewish people and Israelis]. Mejallah al-mustaqbalia. (In Arabic)
 17. Eljodaia, Abdellah bin Youssef. (2008). Taqsim al-maamoura wa ataroho fi al-waqia [Divide the globe in Islamic jurisprudence and its effect on reality] (1st ed.). Beirut: Moassat al-ryan. (In Arabic)
 18. Al-shaaibi, Ahmed Qaid. (2006). Watiqat al-madina almadmoun wa al-dalala. [Close city content and significance]. Qatar: Wizarah al-aouqaf wa al-shuun al-islamia. (In Arabic)
 19. Eljabri, Mohamed Abid. (2009). Fahm al-Quran al-hakim [Understanding the Holy Quran (1st ed.)]. Casablanca: Dar al-nashr al-maghribiya. (In Arabic)

- 20.Imara, Mohamed. (1992). Islamiah al-ma'rifah al-badil al-fikri lilma'rifah al-maddiah [Knowledge is the intellectual alternative to material knowledge]. Majallal al-moslim al-miassir, 63. (In Arabic)
- 21.Taha, Abdul Rahman. (2012). Roh al-dine [Spirit of religion] (1st ed.). Casablanca: Al-markaz al-thaqafii al'arabi. (In Arabic)
- 22.Imara. Mohamed. (2007). Falssafah al-Islam.[Philosophy of Islam]. Majallah Hiraa, 9. (In Arabic)
- 23.Guy, R. (1968). Introduction à la sociologie générale, tome 1, L'action Sociale. Payot. (In French)

معلومات عن المؤلف Information about the author Информация об авторе

أستاذ الفلسفة أحمد الفراك	Dr. Ahmed Elfarrek	Доктор философских наук
جامعة عبد المالك السعدي	Abdelmalek Assaadi	Ахмед Эль-Фаррак
المنطق والفلسفة والفكر الإسلامي	University Department of Philosophy, Islamic	Университет Абдулмалика Ас-Саади
تطوان، المغرب	thought and civilization	Кафедра философии, исламской мысли и философии
elfarrak@gmail.com	Tetouan, Morocco	Тетуан, Марокко
	elfarrak@gmail.com	elfarrak@gmail.com

الكشف عن تضارب المصالح: يعلن صاحب البلاغ عن إنعدام تضارب المصالح.

Раскрытие информации о конфликте интересов: Автор заявляет об отсутствии конфликта интересов.

Conflicts of Interest Disclosure: The author declares Conflicts of Interest Disclosure.